

خطاب الصورة: الكاريكاتير المسيء للإسلام والمسلمين أمودجا

"قراءة في نماذج مختارة"

image's discourse: the caricature offensive to Islam and Muslims

"Read in selected models"

فريدة مقلاتي. جامعة خنشلة-الجزائر

meguellati.farida@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 10/ 06/ 2023

تاريخ القبول: 05/ 03/ 2023

تاريخ الاستلام: 24/ 09/ 2021

ملخص:

تعد الصورة الكاريكاتورية خطابا بصريا يتم تداوله بين الفنان/الرسام، والمتلقي / المشاهد؛ إذ يسعى الفنان عادة إلى إحداث التأثير في المتلقي بلغة فنية تشكيلية، وبخاصة أن فن الكاريكاتير أصبح اليوم من أكثر الفنون قدرة على تعرية الواقع السياسي والاجتماعي في العالم، لذا اعتمد عليه الفنان لتجسيد تصوره، وطبيعة تفكيره، وربما حتى التفكير المعادي، وهذا ما تجلّى في بعض الصور الكاريكاتورية التي عمد من خلالها بعض الأوروبيين إلى مهاجمة الإسلام والمسلمين، وذلك لتأليب الرأي العالمي ضدهم وتنغيا هذه الدراسة تقديم قراءة لبعض النماذج الكاريكاتورية الساخرة من الإسلام والمسلمين، وقد قدم بعض الأوروبيين الحاقدين على الإسلام صورا تجمع بين السخرية والإيحاء، لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وبذلك انحرف فن الكاريكاتير عن مساره الطبيعي، وتخلّى عن رسالته السامية.

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ صورة؛ كاريكاتير؛ إسلام؛ أوروبيون؛ سخرية.

Abstract:

A caricature is a visual discourse that is circulated between the artist/illustrator, and the recipient/viewer; as the artist usually seeks to influence the recipient in a art language ,and especially since the art of caricature has become today one of the most capable arts in exposing the political and social reality in the world, so the artist relied on it to embody his perception, and the nature of his thinking, perhaps even hostile thinking, and this was manifested in Some caricatures in which some Europeans deliberately attack Islam and Muslims, in order to incite world opinion against them. They presented images that combine irony and suggestion, thus deviating the art of caricature from its natural course. This study seeks to provide a reading of some satirical caricature models of Islam and Muslims.and has presented Some Europeans haters of Islam presented pictures that combine irony and suggestion, to distort the image of Islam and Muslims, and thus the art of caricature deviated from its natural course, and abandoned its sublime message.

Keywords: discourse; image; Caricature; Islam; Européens; mockery

1. مقدمة:

أصبح فن الكاريكاتير اليوم من أكثر الفنون قدرة على كشف المفارقات المتجلية في العالم لكونه فن ساخر يطرح الموضوعات بأسلوب تهكمي، وساخر، وهذا ما منحه القدرة على خلق جو من المرح والإضحاك (سلامة، 2016)، ولا يكتفي بهذا الأمر، بل يقود المتلقي إلى كشف النقد المتضمن في الصورة؛ لأن الرسم من خلال خطوطه يحاول نقد وكشف المستور، والاستهزاء بالآخر، كما يحمل فن الكاريكاتير في ثناياه ومظاهره الجمالية الكثير من مكونات العمل الفني، ويبالغ في إبراز العيوب ويقابلها بالرسوم الساخرة (الشعشاع، 2011، صفحة 20)، ولهذا فقد عرفه "فهد بن عبد العزيز بدر العسكر" بقوله: «[هو] الرسوم التي تحاول أن تقدم بعض الوقائع بطريقة ساخرة تتسم بالمبالغة، وذلك لإثارة القراء اتجاه أنماط سائدة من السلوك بغية حشد الرأي العام...» (فهد بن عبد العزيز، 1419هـ، صفحة 40)، وهذا يعني أن وظيفة الكاريكاتير هي معالجة بعض الموضوعات بأسلوب ساخر؛ أي يتسم بالغلو والإفراط في التهكم بطريقة منظمة ومقصودة، وبذلك فهو يسعى إلى تحقيق هدف معين وذلك من خلال إثارة المتلقي وجعله يتجاوب مع ما أراده صاحب الصورة.

وبذلك فقراءة الصورة الكاريكاتورية لا تتم على مستوى المعنى الأول، بل لابد من البحث عن الدلالة المضمر وراء الخطوط، فهي تعتمد على الإيحاء لا المباشرة ليتحقق لها فعل النقد اللاذع الذي يعمل على إثارة المتلقي وحثه على الطلب أو الهروب، وعليه فهذه الخطوط لها قدرة فائقة على انتقاد الأوضاع والممارسات بشكل متفرد قد يعجز القلم أمامها، فريشة الرسام الساخر تعري الواقع، وتكشفه بخطوط بسيطة، وفي حيز ضيق (الصوبي، 1998، صفحة 303) وبذلك «قوة الرسم الكاريكاتيري ليست في رؤيته البصرية فقط التي تعطي انطباعاً بدائياً عن الرسم كشكل ساذج أو غير مكتمل وإنما في دلالاته وفي تعليقه السخري على موقف أو تصرف أو وضع...». (التعمري، 2014، صفحة 488) وهذا يعني أن الرسام بذكائه يمكن أن يرسم صورة كاريكاتورية يعكس من خلالها فكرته وتصوره، وتكون قادرة على جذب القارئ، وجعله طرفاً في عملية التفاعل، ويتجلى هذا حينما يتخذ المتلقي موقفاً من الموضوع الذي عاجله الفنان، وبذلك فهي قد «... تساعد على تشكيل أفكار ومشاعر معادية أو متفهمة مثلما تفعل لغة الكتابة» (حمود، 2010، صفحة 19)؛ لأن قدرة الصورة تعود إلى «المثيرات البصرية والإيحاءات الدلالية المتوافرة في خطاب الصورة أكثر تأثيراً وإثارة من المثيرات الدلالية التي يحويها الخطاب المقروء أو المسموع» (عتيق، 2010، صفحة 238).

وعليه يمكن القول أن الصورة في هذا العصر استطاعت أن تحقق الهيمنة على حياة الشعوب، وتتحكم في استراتيجيات التواصل الإنساني، وهذا ما جعلها بؤرة إنتاج المعنى في الثقافة المعاصرة، فمن يملك القدرة على المناورة بالصورة والتحكم في إنتاجها وتسويقها يستطيع إدارة المواقف لصالحه (قدور، دت، صفحة 19)، وهذا فعلاً ما حدث اليوم؛ إذ تمكنت الدول الغربية (=القوى المركزية) من السيطرة على الصورة بفضل تطور تقنياتها، فسخرتها لتشويه صورة الآخر، وذلك عن طريق مهاجمة ثقافته ومقدساته، وهذا ما حدث مع الإسلام والمسلمين؛ إذ تكالبت الدول الغربية على كل ما له علاقة بالإسلام، وأصبحت الصورة جزءاً لا يتجزأ من الأسلحة المستخدمة لضرب العقيدة الإسلامية، وتعد الصورة الكاريكاتورية بخاصة من بين أهم الصور المستخدمة في هذا الهجوم، إذ عمد أصحابها إلى تقديم رسومات ساخرة عن الذات الإلهية، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الفرد المسلم، وهذا لإثارة المسلمين، وفي الوقت نفسه تصوير الإسلام بصورة سلبية لتغيير المتلقي منه، وحمله على محاربهته والهروب منه، وعليه ستعمل هذه الدراسة على مقارنة بعض الصور الكاريكاتورية المستخدمة من طرف الغرب لتشويه صورة الإسلام والمسلمين. وعليه ستنتقل هذه الدراسة من مجموعة من التساؤلات: ما طبيعة الخطاب الموجه في هذه الصور الكاريكاتورية؟ وما هي الدلالات المضمر التي يمكن أن نستشفها؟ ولماذا اعتمدوا عليها؟ هل

لقد رتقها على عكس الواقع بطريقة تجمع بين الإمتاع والإقناع؟ أم لغنى مضامينها من الناحية الفكرية، والدلالية وقدرتها على التأثير في المتلقي بطريقة لاشعورية؟

وبذلك فالفضاء الذي سنقرأ فيه بعض الصور الكاريكاتورية هو فضاء الأزمة التي يعيشها الإسلام والمسلمين، وعليه فتحقيق التأويل يستند على الدليل الأيقوني المتكون من: اللون، واللغة، والتمثيل... فكل هذه الميكانيزمات تسهم في مقاربة الدلالة، وبهذا يبدأ فعل القراءة انطلاقاً من هذه الميكانيزمات، علماً أن الدلالة تتجدد مع كل قراءة بوصفها آلية من آليات التأويل، ولكن لا يمكن أن نجرم بأن قراءتنا قراءة نهائية، وعليه يتراقد التحليل، والقراءة لتحديد مستوى من التأويل (مداس، 2011، صفحة 175) لتقديم الدلالة المحتملة حسب السياق الذي وردت فيه هذه الصور.

2. الصورة الأولى: (جمعة، 2014)



مرسل هذا الخطاب مجلة "شارلي إبدو" الهزلية الفرنسية، وقد «قررت مجلة "شارلي إبدو" الفرنسية نشر رسوم كاريكاتورية ساخرة من رسول الإسلام عقب الهجوم المسلح على مكتب المجلة؛ حيث قال محامي الصحيفة: إن عدد "شارلي إبدو" الجديد سيتضمن رسوماً كاريكاتورية للنبي محمد، وعدد من الشخصيات الأخرى ليظهر أن المجلة لن تتراجع عن مواقفها» (مجلة الرصد، 2017، صفحة 17)

وقد عكست الصورة رجلاً ملثماً يحمل سكيناً ويضعه على رقبة رجل آخر جاثم على ركبتيه، وفي أعلى الصورة نجد رسالة ألسنية "Si MAHOET REVENAIT"، ويمكن أن نعهده كعنوان للخطاب.

وحامل الصورة هو الشكل الهندسي المتمثل في المربع ليحدد الرسام بذلك الرؤية للمتلقى ويستدعيه لقبوله نفسياً كما أن هذا الشكل يوحي بالإخلاص تبعاً لزواياه الصحيحة وبالترتيب، والعقلانية (برادي، 2010)، وكأن صاحب الصورة يؤكد على صحة تفكيره، ورؤيته وأيديولوجيته، ولهذا فالقراءة ستركز على العناصر الهامة المكونة للصورة:

-الرجل ذو اللباس الأسود والملثم / -الرجل ذو اللباس الأبيض والملتحى.

ونلاحظ أن الخطوط المستخدمة منحنية، وذلك للدلالة على قوة صاحب اللباس الأسود وقدرته على مقاومة الآخر ودحره.

وحيثما نتأمل هذه الصورة ونحاول أن نعطي لها أبعادا خاصة يتضح لنا أنها تعكس حقد الدول الغربية على الإسلام، وبخاصة أنها وجهت سهامها إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وصورته التي تعد من الثوابت والمقدسات عند المسلمين، وهذا الرسم الكاريكاتوري يعكس رسالة مرئية بشقيها الأيقوني، واللساني، وتعكس دلالة معينة.

عمد الرسام إلى تقسيم الصورة إلى قسمين، الأول علوي (=السماء)، والثاني سفلي (=الأرض) يوجد على القسم السفلي رجلان، الرجل الجاثم على ركبتيه يلبس قميصا أبيضاً، وحافي القدمين، أما الآخر يلبس لباساً أسوداً وحذاء عسكرياً، ويغطي وجهه بلثام أسود، ويحمل بيده خنجرًا، وقد وضعه على رقبته الرجل الذي يلبس لباساً أبيضاً وبلحية سوداء، وفي المؤخرة شكل هندسي على هيئة دائرة مكتوب عليها رسالة لسانية؛ إذ كتب في الدائرة المحاذية للرجل المثلث عبارة:

"Je suis le prophète Abruti!" أما الثانية المحاذية للرجل الذي يلبس قميصاً كتب عليها: "Ta Gueule" infidélé! وفي أسفل الصورة، وعلى جهة اليمين مصدر الصورة: "CHARB".

ونلاحظ أن الرسالة الأيقونية تجلت في: الصورة تحتوي على أشخاص، أما الدال (=شخصان)، أحدهما مثلث، ولباس يشبه اللباس العسكري، أما الآخر يلبس لباساً أبيضاً وبلحية سوداء، أما من ناحية المدلول فهي تعكس حقد الغرب على الإسلام والمسلمين، وتجلى هذا من خلال الرجل الذي يلبس لباساً أبيضاً، فهو يمثل رسول المسلمين "محمد" (صلى عليه وسلم).

إذ قدمت لنا هذه الصورة مشهداً دموياً يعكس لقاء بين شخصين أحدهما يلبس لباساً عسكرياً ويغطي وجهه بلثام ويضع سكيناً على رقبته الرجل الآخر الذي يلبس لباساً أبيضاً وبلحية سوداء ويضع عمامة على رأسه، وهو زي يرمز إلى الإسلام والمسلمين، والرجل يرمز به إلى النبي "محمد" صلى الله عليه وسلم، وقد اتخذ كمنمؤذج اختزل به المجتمع الإسلامي، وتبدو الشخصية العسكرية قوية واثقة من نفسها، وبخاصة أنها قد أحكمت قبضتها على الآخر، وذلك بوضع السكين على الرقبة وشد الرأس إلى الخلف، وأما الآخر فيداه وراء ظهره، وعيناه جاحظتان، وهذا يدل على الرعب والخوف الشديد، وهذا يعكس ضعف الآخر وسيطرة صاحب الزي العسكري الذي يمثل الدول الغربية، وبخاصة أنه وجهه مغطى بلثام وهذا منحه صفة الإطلاق فهو نمؤذج يختزل عدد من الدول الأوروبية، ولكن على الرغم من ذلك يبقى اللثام رمزا للمجرم، والقاتل الذي يخفي عادة هويته باستخدام هذا الغطاء.

أما الرسالة اللسانية فقد وضحت موضوع الصورة الكاريكاتورية، فالعنوان يوضح أنه إذا عاد "محمد" فهذا هو مصيره، وهو في حقيقة الأمر يوضح مصير الإسلام والمسلمين إذا عادوا إلى الساحة العالمية، فمصيرهم الموت، أما بالنسبة للألوان المستعملة نجد الأسود الذي يلبسه الفرد الغربي، ويعني في دلالاته الرمزية الموت، وهذا ما تجلى من خلال الخنجر الذي يحمله صاحب هذا اللباس، كما يوحي بالقوة والحضور، وهذا يعكس قوة القوى المركزية، وحضورها الدائم لمكافحة الإسلام والمسلمين (=الإرهاب)، وأما اللون الأبيض الذي عادة يرمز إلى الطهارة والصفاء، فقد أراد الرسام من خلالها إبراز حقدهم؛ أي حتى ولو ادعيتهم الطهارة والنقاء فمصيرهم الموت، واللون الأبيض يرمز أيضاً إلى الهرم والشيخوخة؛ أي أراد به أن الإسلام والمسلمين على مشارف النهاية التي ستكون على يد الدول الغربية، وبذلك قد وضع الأبيض في مواجهة الأسود ليعكس بذلك ثنائية الصراع، وهذه الثنائية التي تجلت في هذه الصورة الكاريكاتورية تفضي إلى الحياة والموت.

أما الرسالة التضمينية التي يمكن أن نستشفها من خلال هذه الصورة هو حقد الدول الصليبية على الإسلام والمسلمين، وبخاصة بعد إقبال الأفراد الأوروبيون على اعتناق الإسلام، وصورة الرجل صاحب الهيئة الإسلامية تعكس هوية الرجل الذي جاء بالرسالة (الرسول)،

إذ نفهم من كلمة "أخرس" بأنه لا يسمح لأي مسلم بالرد على الغرب مهما كانت طبيعة الإساءة، فحتى لو عاد "محمد" صلى الله عليه وسلم فمصييره الذبح، وكأنهم يشيرون إلى طبيعة السلاح الذي كان يستخدم في الفتوحات الإسلامية، وذلك للإشارة إلى دموية الدين الإسلامي، الذين يرون أنه نشر بحد السيف، وكذلك يمكن القول أن هذا الرجل هو رمز للإسلام الذي لن يسمح له بالانتشار، وسيتم توقيفه بحد السلاح نفسه، كما أن الأرضية صفراء، وهذا يدل على الرمال والسماء زرقاء صافية، وهذا يعكس طبيعة شبة الجزيرة العربية والمعنى المضمّر هو محاربتكم على أرضكم .

فهذه الصورة هي انتقاد للإسلام والمسلمين، وهي تهديد أيضا، فهي ليست بريئة، بل تعكس إهانة الغرب للمقدسات الإسلامية، وتلمح إلى أن الغرب سيقاوم مقاومة شرسة الإسلام والمسلمين، وبذلك فهذه الصورة ذات مضمون أيديولوجي بالدرجة الأولى، وهذا يعني أن الفكر الذي تحمله الصورة الكاريكاتورية يعكس اتجاهات الصحيفة، وفكرها الأيديولوجي، كما أن خطاب الصورة الكاريكاتورية يحفز ذهن المتلقي ويدفعه إلى التفاعل مع الرؤية والفكرة التي تريد الصحيفة تمريرها وترسيخها، وهي ثنائية الصراع بين المسلمين والغرب (=المسيحي، اليهود، العلماني...) على مدى العصور.

3. الصورة الثانية: (المنأوي، 2016)



عمد الكاتب الأردني "ناهض حتر" إلى إرسال هذه الصورة ونشرها على حسابه في الفيسبوك وعلق عليها بعبارته "رب الدوايش". وتعكس هذه الصورة السخرية من الذات الإلهية، وهذا يعد ضربا للمقدسات والثوابت الإسلامية، وهذه الصورة تعكس رسالة مرئية بشقيها الأيقوني واللساني أيضا، وذات دلالة.

ونلاحظ أن هذه الصورة تعكس "الجنة"، وجاءت على شكل غرفة معلقة ومحفوف بستائر خضراء، وعلى أرضيتها سرير مغطى بقماش أخضر، وفوقه رجل بلحية يتوسط امرأتين، وأمامه طاولة عليها خمر، وإلى جانبها طاولة عليها أكل، وعلى الجهة المقابلة رجل يزيح الستار الأخضر بلحية بيضاء وعلي رأسه تاج، ومن خلال الملامح يبدو أن هناك حوارا قائما بين الرجل الممدد وصاحب اللحية البيضاء، وجاء في أعلى الصورة على جهة اليمين شكل هندسي على هيئة مستطيل مكتوب عليه "الجنة" وهو عنوان الصورة، وفي وسط الصورة رسالة ألسنية "يسعد مساك أبو صالح تحتاج شيء؟"، وجهة اليسار نجد رسالة أخرى: "نعم يا رب ناولني خمر من هناك، وقل لجبريل يحضر لي

بعض الكاجو، ثم أرسل هنا غلام مخلد لينظف الأرضية، وخذ معاك الأطباق الفارغة"، وفي أسفل الصورة نجد أيضا رسالة أخرى: ولا تنسى أن تصنع باب للخيمة حتى تفرغ قبل الدخول في المرة القادمة سبحانه".

ونلاحظ أن الألوان الطاغية على الصورة هي الأخضر والأبيض، فقد استعان بهما؛ لأن الصورة تعكس الجنة فالأخضر «لون مسكن، ومنعش وإنساني... ولون الخلود... وقد وعد المسلمون المتقون بالجنة حيث السندس والإستبرق الأخضر، والظلال الخضراء في أرجاء الجنة وجوانبها..»، (كلود، 2013، الصفحات 91-93) أما الأبيض فيدل على النقاء والصفاء والخلو من الخطيئة واسودادها. (كلود، 2013، صفحة 59) ولكن الشخص الذي جسد عن طريقه الذات الإلهية جعل له لحية بيضاء ولباسه أيضا ربما ليدل بذلك على ضعفه، بما أن الأبيض ظاهرة طبيعة تعكس العجز والضعف؛ لأنه يبارك ما يفعله صاحب اللحية السوداء المتكئ على السرير، وهذا من تجلّي من خلال الرسالة الألسنية.

ونلاحظ أن الرسالة الأيقونية تمثلت في: الصورة تحتوي على عدة شخصيات، والدال (= رجالان، وامرأتان)، أما من ناحية المدلول فهي تعكس السخرية من الذات الإلهية ومن المسلمين، والرسالة الألسنية هي التي أوضحت الفكرة أكثر وعكست التهكم والسخرية بشكل جلي، فلولاها لما فهمنا محتوى الخطاب، فقد تمثلت الرسالة الألسنية الأولى في شكل العبارة الآتية: الجنة وهو العنوان الرئيس الذي عكس من خلاله الرسام حقيقة ما ينتظر الإرهابيين (= المسلمين)، وهذا فيه تلميح بأن الله غير عادل. والرسالة الثانية فقد تمثلت في الجملة الآتية: يسعد مساك أبو صالح تحتاج شيء؟"، والثالثة: "نعم يا رب ناولني خمر من هناك، وقل لجبريل يحضر لي بعض الكاجو، ثم أرسل هنا غلام مخلد لينظف الأرضية، وخذ معاك الأطباق الفارغة"، والرابعة: ولا تنسى أن تصنع باب للخيمة حتى تفرغ قبل الدخول في المرة القادمة سبحانه".

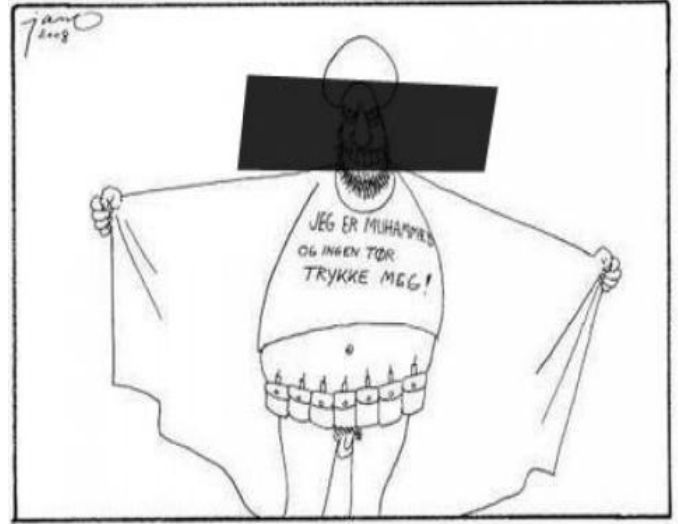
فهذا الحوار الذي دار بين الرب، والرجل الملتهجي الذي يختزل به الرسام كل الإرهابيين (=المسلمين) رمز يوحى به إلى أن الرب غير عادل، وسيدخل الجنة كل قاتل، وسيخاطبهم بود ومحبة، أما الآخر نسمع في نبرته استهزاء بالذات الإلهية، ويتضح ذلك من خلال هذه الرسالة الألسنية: "نعم يارب ناولني خمر من هناك، وقل لجبريل يحضر لي بعض الكاجو، ثم أرسل هنا غلام مخلد لينظف الأرضية، وخذ معاك الأطباق الفارغة"، وفي أسفل الصورة نجد أيضا رسالة أخرى: ولا تنسى أن تصنع باب للخيمة حتى تفرغ قبل الدخول في المرة القادمة سبحانه".

فهذا الخطاب يمثل قمة الاستهزاء بالذات الإلهية، وبا لقرآن الكريم (جبريل ناقل الوحي إلى الرسل الأنبياء جميعاً، غلام مخلد = ولدان مخلدون في سورة الواقعة الآية 19)، وتجلى ذلك من خلال الملفوظات (يارب ناولني خمر/ جبريل يحضر لي الكاجو/ غلام مخلد ينظف...) فهي تعكس قمة السخرية والاستهزاء من المقدسات الإسلامية، وقد استغل "ناهض حتر" هذه الصورة ونشرها على حسابه ليعكس من خلالها فكر الدواعش الخاطيء عن الله والجنة، ولكن على الرغم من ذلك لا يجوز نشر مثل هذه الصورة، فهي فعلا تمس الذات الإلهية، وتخلق نوعا من الحقد في نفس المسلم، فكيف للفرد العربي أن يعيد نشر مثل هذه الصورة بغض النظر عن فكره وأيديولوجيته، وعليه فخطاب الصورة يكرس نظرة خاطئة عن الإسلام للآخر، وبخاصة الغربي.

كان هذا الخطاب معبرا عن الحقد الذي يكنه الآخر للإسلام والمسلمين، فانخذ المقدسات كمطية لتمرير حقه المبطن، إذ عمد إلى تجسيد وتشخيص الذات الإلهية ومخاطبتها بألفاظ لا تليق بها، وهذا يعد استفزاز للمسلمين وبخاصة نحن نؤمن بأن صفات الله عز وجل

توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها، فلا تثبت منها إلا ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله، وننفي كل ما نفاه الله عز وجل عن نفسه، ونفاه عنه رسوله، فالموضوع ليس اجتهادياً، بل هو موضوع منته.

4. الصورة الثالثة: (النابلسي، 2003)



مرسل هذا الخطاب هو صحيفة نرويجية، وقد بررت الصحيفة نشرها لهذا الرسم الكاريكاتوري بأنه رد فعل على العملية الدموية ضد السفارة الدنماركية في باكستان التي راح ضحيتها عدد من القتلى والجرحى (النابلسي، 2003) وقد عكست هذه الصورة رجلاً سمينا بلحية وعمامة، يلف خاصرته بحزام ناسف، وهو لا يخفي ذلك، بل على العكس قد كشف عنه الغطاء، وفي أعلى الصورة وعلى الجهة اليسرى نجد إمضاء صاحب الصورة والتاريخ (2008)، وعلي صدره رسالة ألسنية "أنا محمد، لا أحد يجرؤ على نشري"، ويمكن أن نعهه كعنوان للرسالة، وقد أقدم صاحب الصورة على وضعها في شكل مستطيل لجذب المتلقي، وقد تموضعت الصورة بشكل عادي وبسيط، ولهذا فالقراءة تكون موجهة للعناصر الهامة المكونة للصورة:

-رجل سمين بلحية وعمامة بيضاء.

-حزام ناسف يلف خصره.

ونلاحظ أن الخطوط المستخدمة منحنية، وبذلك تدل على عنف وهمجية ودموية هذه الشخصية، والخطوط الدائرية الخاصة بالعمامة واللحية تدل على مدى تعطش الشخص إلى عملية سحق الآخر.

ونعائنا أيضاً أن صاحب الصورة لم يستعن بالألوان، بل اكتفى بالأبيض والأسود، وبذلك قد وضع الأبيض في مواجهة الأسود ليعكس بذلك ثنائية الصراع، وهذه الثنائية التي تجلت في هذا الخطاب الذي يفضي إلى تغليب الموت؛ لأن هذه الصورة توحى بتحقيق الموت في حالة الانفجار.

أما بالرسالة الأيقونية فقد تجلت في الصورة (= شخص)، والدال المتمثل في شخص واحد يدل على الإرهاب والدموية، وتمثلت الرسالة الألسنة أو اللغوية في شكل الجملة الآتية "أنا محمد، لا أحد يجزؤ على نشري"، وهو العنوان الرئيس الذي يحيل إلى دموية الدين الإسلامي المتمثل في شكل هذه الشخصية التي تعكس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حسب ادعاء صاحب هذه الصورة.

وتم نشر هذه الصورة بعد الاعتداء الذي تم ضد السفارة الدنماركية في باكستان الذي خلف عددا من القتلى والجرحى، فهذا الخطاب يعكس تعاطف الأوروبيين مع بعضهم البعض، وتبين في الوقت نفسه حقدهم الدفين ضد الإسلام، فمحمد صلى الله عليه وسلم لا علاقة له بهذه الأحداث لا من قريب، ولا من بعيد، فقد قال عنه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾، فهذه شهادة من الله تعالى، وخلق الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن الكريم، فكيف يتجرؤون على تمثيله بهذه الصورة الساخرة التي تسعى إلى وصف الإسلام بالدموية، وذلك من خلال هذه الشخصية الطاهرة، فهذا يعد استفزازا للمسلمين، وإساءة للمقدسات الإسلامية، ولكن هناك من استغل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، وهذا حسب زعمهم يؤكد أن محمدا بشرا، إذ يرون «... أنه شخصية عامة وتاريخية فحتما سيكون محل نقد ساخر وغير ساخر، ولن يخسر المسلمون شيئا لو كان النقد الساخر متهاوتا بمعايير النقد الساخر ذاتها، وسيكونون هم الراجحون لو كان النقد ناجحا، فذلك يصب في بوتقة النقد وصحرائه القاحلة، والفقيرة بالإسلام الذي قل إن نجد تفكيرنا نقديا بين أتباعه» (Fz، 2008)، فهذا النص يوحي فعلا بمدى حقدهم على المسلمين، وعلى هذه الشخصية المقدسة التي أرسلت رحمة للعالمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء 107)، وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 185)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: 28).

وتصرح بعض الشخصيات الملحدة أن الغرض من الصورة الكاريكاتورية بحكم طبيعتها الساخرة «هو إزالة حاجز القداسة ومحو الخطوط الحمراء التي تمثل سلطة نفسية تحول دون نقد تلك الأفكار المقدسة ذات الخطوط الحمراء، فالسخرية تنزل الفكرة من عليائها، وتغرس حتى في دواخل مقدسيها الإحساس بنسبيتها وإمكانية مساواتها بباقي الأفكار من حيث قابليتها لمختلف أنماط النقد» (Fz، 2008)، وهذه السهام موجهة بطبيعة الحال إلى مقدسات الإسلام، وهذا ما ترجموه من خلال الصور التي رسموها، فهي تعد انتقاد للإسلام، والمسلمين.

5. الصورة الرابعة: (Fz، 2008)



مرسل هذه الصورة هو قناة "الملحدين"، وهو موقع إلكتروني يسخر من كل ما له علاقة بالدين وبخاصة الدين الإسلامي، وكل المقالات المنشورة تصدر باللغة العربية، وتعتمد كثيرا على الفن الكاريكاتوري لتمير أفكارها الباطلة، والمشوهة، وترى أن «التراث الإنساني بما فيه الديني والشخصيات العامة والشخصيات التاريخية لا حصانة لها من كافة أوجه وأنماط النقد، حتى الساخر منها، فذلك

التراث، وتلك الشخصيات العامة أو التاريخية هي ليست ملكاً لأحد حتى، ولو كانت تلك الشخصيات دينية...» (Fz، 2008). وقد جاءت الصورة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، نلاحظ أن الصورة الأولى والثانية مقسمتان إلى نصفين علوي وسفلي، أما العلوي فيمثل السماء، وأما السفلي فيمثل الأرض عليها جبال ويجلس عليها شخص يلبس لباساً أزرقاً مخططاً بالأبيض ويقابله جبل آخر باللون الأصفر، أما السماء ملبدة بغيوم بيضاء تتخللها أشعة الشمس الصفراء، كما نلاحظ وجود بطاقات تحمل رسالة ألسنية "يا الله- نعم- أنت أحمق"، والصورة الثانية توحى بأن الحوار قد أخذ وقتاً طويلاً والشمس بدأت في الغروب، وتحلى ذلك في السواد الذي أحاط بالشخص، وكذا الصخرة التي يجلس عليها، كما نلاحظ وجود بطاقات تحمل رسالة ألسنية "أنت الأحمق- لا أنت الأحمق- بل أنت الأحمق- أنت مؤخرتك كبيرة".

كما أن حامل الصورة جاء في شكل مستطيل، وقد تم نقلها بشكل واضح، والعناصر المكونة للصورة جاءت مواجهة للعين؛ إذ يمكن تقديم قراءة لها حسب المحتوى.

- شخص جالس على صخرة.
- شكله يوحي بوجود حوار.
- حركة رأسه؛ أي رفعه نحو السماء.

نلاحظ أن السماء ملبدة بغيوم بيضاء، ولكن انعكاس أشعة الشمس صبغتها بالأصفر، وله دلالات عديدة، ولكن في هذه الصورة يمكن القول أنه يدل على السخرية والوقاحة والاستخفاف (كلود، 2013، صفحة 113)، أما اللون الأزرق الخاص بلباس الشخص يدل على السمو والعمق، ولكن في الوقت نفسه يعكس مكره وخداعه أما اللون الأصفر الذي انعكس على السماء والجبال يدل على الزهو والتكبر والاعتداء والبعد عن الله. (كلود، 2013، صفحة 111)

أما بالنسبة للرسالة الأيقونية فقد تجلت في الصورة (= شخص)، والدال المتمثل في هذا الشخص الذي يخاطب الله سبحانه وتعالى، والمدلول طبيعة الحوار الذي جرى بين الشخص والله سبحانه وتعالى عما يصفون، وتمثلت الرسالة الألسنية أو اللغوية في الجمل التي صاغ بها صاحب الصورة الحوار (يا الله- نعم- أنت أحمق)، "أنت الأحمق- لا أنت الأحمق- بل أنت الأحمق- أنت مؤخرتك كبيرة".

وتم نشر هذه الصورة الساخرة وغيرها للسخرية من الأديان، وتجاوز الخطوط الحمراء التي تحد من الإبداع حسب زعمهم، فالتفكير حسب زعمهم الباطل «في وضع خطوط حمراء للأدب الساخر، أو للإبداع عموماً، حتى ولو لم يكن ساخرًا، فهذا يعني الحكم عليه بالإعدام، فالأصل في الإبداع هو وسوعية الأفق أو اللامحدودية، الانعتاق من الأسر والقيود، والفكاك من التقليد، والتمرد على السلطات، فلا إبداع من غير جديد، ولا جديد من دون الثورة على السلطات وخطوطها الحمراء» (Fz، 2008).

ونعائين من خلال هذا النص طبيعة المراوغة والادعاء بغية صيغ نواياهم البغيضة بالمشروعية، وإخراج أعمال ساخرة موجهة ضد الدين الإسلامي بصفة خاصة، فهذه الصورة وهذا الحوار يدل على ساذجة صاحب الصورة، إذ أظهر الشخص الذي في الصورة وكأنه في حالة جنون؛ لأن الحوار «هو المراجعة في الكلام أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره، أو آرائه، أو مقترحاته وتجاذب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة....» (السحمراني، 2005، الصفحات 17-18)، فما دام هذا الشخص لا يؤمن بوجود الإله فلماذا يجهد نفسه في عقد هذه المحاور التي أظهرته، وكأنه فقد عقله، فهو يظهر في حالة توهم وانفصام عن الواقع.

أما بالنسبة للصورة الثانية فلها علاقة بالصورة الأولى؛ إذ توحى بطول المدة الزمنية التي قضاها الشخص في مخاطبة الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وهذا يمكن أن نستشفه من خلال الظل الذي انعكس على الشخص والصخرة التي جلس عليها، كما أن الرسالة الألسنية (أنت الأحق - لا أنت الأحق، بل أنت الأحق - أنت مؤخرتك كبيرة) توحى بوقاحة صاحب الصورة الذي تجاوز الخطوط الحمراء في سخريته اللاذعة، إذ أطلق أحكاما على أمور غيبية، لم يرها ببصره وبالتالي لا يمكن الحكم عليها، فإذا كان لا يؤمن بوجود الله فمن يخاطب إذن، أليس هذا الحوار الذي أقامه دليل قاطع على هستيريته وجنونه؟

أما الصورة الثالثة جاءت على النمط نفسه، والعناصر المكونة للصورة أيضا جاءت مقابلة للعين؛ إذ يمكن تقديم قراءة لها حسب المحتوى.

- خيمة خضراء.

- رجل ذو لحية بيضاء طويلة يطل من فتحة الخيمة.

ونلاحظ أنه استخدم خطوط منكسرة وأخرى عمودية، وأفقية لتدل الأولى -منكسرة- على همجية ودموية الإسلام مادام إبراهيم قد امتثل لأوامر الله سبحانه وتعالى وهم لذبح ابنه إسماعيل، أما العمودية والأفقية تدل على الموافقة، والخضوع، ونلاحظ أن صاحب الصورة استعان بالألوان منها الأخضر وهو لون الخيمة ليدل بذلك على الهدوء والسكينة، والأحمر وهو لباس الشخص صاحب اللحية البيضاء، واللون الأحمر يدل على الدم، ليصبغ بذلك هذه الشخصية بالدموية.

أما بالرسالة الأيقونية فقد تجلت في الصورة (= الشخص الملتحي)، والدال المتمثل في شخصية "إبراهيم" عليه السلام الذي يخاطب الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وتمثلت الرسالة الألسنية أو اللغوية في الحوار الذي قام بين إبراهيم الله سبحانه وتعالى (يا إبراهيم أنا الله ربك - أريد أن تقتل إسماعيل)، فهذا الحوار الذي أجراه صاحب الصورة يحيل على دموية ديانة التوحيد. وقد تم نشر هذه الصورة الساخرة وغيرها للسُّخرية من الدين الإسلامي بخاصة، ويتضح ذلك من ذكر النبي إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام، والسخرية من رؤية سيدنا إبراهيم لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات 102)، كما استخدم ملفوظ "القتل" ليدل على الفتك وإزهاق الأرواح، وكل هذا من أجل تقديم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، وإلصاق القتل والإجرام والإرهاب بهذا الدين الحنيف، دين السلام والأمن والعدل ولو كره المجرمون.

6- الخاتمة:

إن الصورة الكاريكاتورية استطاعت اليوم أن تتبوأ مكانة متميزة في حياة الشعوب، لقدرتها على النقد الآني، فهي تحمل دلالة قادرة على اختراق ذهن المتلقي، وقيادته إلى إصدار أحكام، وهذا ما جعل الدول الأوروبية تستغلها بفضل تقنياتها التواصلية المتطورة للنقد والسخرية من المقدسات الإسلامية، وتقديمها في صورة مشوهة لشعوبها، ولعل من أهم النتائج التي أوجت لنا بها هذه القراءة ما يأتي:

- توسل أعداء الإسلام الصورة الكاريكاتورية كآلية إجرائية معبرة عن مقاصدهم وتصوراتهم وأفكارهم الخبيثة، ومهاجمة المقدسات، والمساهمة في بناء صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين.
- خطاب الصورة الكاريكاتورية يحفز ذهن المتلقي ويدفعه إلى التفاعل مع الرؤية والفكرة التي يريد الآخر، وهي ثنائية الصراع بين المسلمين والغرب (=المسيحي، اليهود، العلماني...) على مدى العصور.

- استعانوا بالصورة الكاريكاتورية للسخرية من المسلمين ومجاهتهم، ونقدتهم بغية إفحامهم وتعرية واقعهم، وإذلالهم.
- عمدوا تخير الألفاظ والتراكيب لخدمة أفكارهم الأساسية، فجاءت لغتهم واضحة يمكن للمتلقي أن يستشف المضمير بكل سهولة وسلاسة.
- استخدموا السخرية بهدف الإضحاك، والازدراء وشد انتباه المتلقي، وضمان تفاعله لإقناعه بأفكارهم وقناعاتهم، وتسويق الأفكار التي يريدونها لتحقيق السيطرة، وتغيير العالم من الإسلام.

7- قائمة المراجع:

(3 أكتوبر، 2014). تم الاسترداد من

<https://www.youm7.com/story/2014/10/3/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%85-%D9%85%D8%B3%D9%8A>

Nesta Fz. (9 أبريل، 2008). السخرية من الأديان. تم الاسترداد من قناة الملحدون بالعربي:

<http://arabatheistbroadcasting.com/essay/121238485657>

أحمد جمعة. (3 أكتوبر، 2014). -

<https://img.youm7.com/images/issuehtm/images/daily/knhk8tkgkg.jpg> الجمعة 25 كانون

الأول/ ديسمبر 2020 5.34.52 مساء. تم الاسترداد من اليوم السابع:

<https://www.youm7.com/story/2014/10/3/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%85-%D9%85%D8%B3%D9%8A>

أحمد جمعة. (3 أكتوبر، 2014). اليوم السابع. تم الاسترداد من

<https://www.youm7.com/story/2014/10/3/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%85-%D9%85%D8%B3%D9%8A>

أحمد جمعة. (3 أكتوبر، 2014). مجلة فرنسية تستغز المسلمين وتنشر رسوم مسيئة للرسول محمد. تم الاسترداد من اليوم السابع للإعلان:

<https://www.youm7.com/story/2014/10/3/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%85-%D9%85%D8%B3%D9%8A>

- أحمد عمار مداس. (2011). السيمياء والتأويل: دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته (ط1). إربد-الأردن: عالم الكتب للنشر والتوزيع.
- أسعد السحمراني. (2005). الإسلام والآخر (ط1). بيروت: دار النفائس.
- الاحتراق الثقافي. (شباط، 2017). مجلة الرصد. (33)، 9-25.
- النابلسي. (14 سبتمبر، 2003). الذات الإلهية. تم الاسترداد من موسوعة النابلسي: <https://nabulsi.com/web/article/3352/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%A>
- بدر العسكر فهد بن عبد العزيز. (1419هـ). الإخراج الصحفي أهميته الوظيفية واتجاهاته الحديثة. الرياض: مكتبة العبيكان.
- ستيفن برادلي. (2010). معاني ودلالات الأشكال الهندسية. (خالد ارشيد محاسيس، المنتج) تم الاسترداد من ديكور دوت كوم: https://bytna.blogspot.com/2015/06/blog-post_16.html
- طلال الشعشاع. (2011). فن الكاريكاتير دراسة علمية نظرية وتطبيقية. لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
- عاطف سلامة. (9، 12، 2016). دور الكاريكاتير في نصرته القضية الفلسطينية. تم الاسترداد من الحوار المتمدد: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=540689>
- عبد العزيز سعيد الصوبعي. (1998). الإخراج الصحفي والتصميم (دط). بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر.
- عبد الله ثاني قدور. (دت). سيميائية الصورة: مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم (المجلد دط). دار الغرب للنشر والتوزيع.
- عبيد كلود. (2013). الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، دلالتها) (ط1). بيروت-لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- عمر عتيق. (31 يناير، 2010). القدس في صورة الكاريكاتير: دراسة أسلوبية في الثقافة البصرية. مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، مجادة حمود. (2010). الآخر في التراث العربي (ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- محمد التعمري. (2014). سخرية الخطاب: من سلطة الكلمة إلى سلطة الصورة-فن الكاريكاتير-. الرباط: دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- هاميس المناوي. (25 سبتمبر، 2016). صورة الكاريكاتير التي تسببت في مقتل الكاتب الأردني ناهض حتر. تم الاسترداد من الغد: <https://www.alghad.tv/%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D8%B3%D8%A8%D8%A8%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%82%D8%AA%D9%84-%D8%A7%D9%84>